آراء الشيخ : علوان بن عطية الحموي (ت936هـ) في النبوات والإيمان بالرسل والمعجزات والشفاعات وما يتعلق بها في ضوء كتابه بيان المعاني في شرح عقيدة الشيباني (ت 777هـ)

أ/عصام محمد حسن

ملخص البحث:

فهذه دراسة تتناول آراء الشيخ : علوان بن عطية الحموي (ت936هـ) في النبوات والإيمان بالرسل والمعجزات والشفاعات وما يتعلق بها في ضوء كتابه بيان المعاني في شرح عقيدة الشيباني (ت 777ه)- وهذه خطة الدراسة:

المطلب الأول: النبوات والإيمان بالرسل
المطلب الثاني: في بيان الدليل علي النبوات (المعجزات)
المطلب الثالث: في بيان بعض فضائل النبي صلي الله عليه وسلم
المطلب الرابع: في ذكر الإسراء والمعراج
المطلب الخامس: في شفاعة النبي صلي الله عليه وسلم ومن تناله
المطلب السادس: في بيان شفاعة باقي الأنبياء والأولياء بعد نبينا وما يتعلق بها
المسألة الأولي: في بيان شفاعة باقي الأنبياء والأولياء بعد نبينا
المسألة الثانية: ومما يتعلق بالشفاعة الغفر والتجاوز
المطلب السابع: ومن جملة ذلك بيان مآل موحدين وأصحاب الكبائر والمشركين

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، قيوم السماوات والأرضيين: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ [1]}والصلاة والسلام على البشير النذير الذى جاء بالعقيدة الصافية؛فأرسى دعائم الدين ، إمام وقدوة المتقين ورحمة الله للعالمين محمد صلي الله عليه ، وعلي جميع الأنبياء والمرسلين وسلم تسليما كثيرا، وعلي جميع الأصحاب والتابعين وتابعيهم بإحسان إلي يوم الدين وبعد :

المطلب الأول: النبوات والإيمان بالرسل

قال الشيخ علوان رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم لما كانت هذه المواطن لا تعلم إلا من باب الوحي والنبوة، ولا تشرق أنوارها إلا من مشكاة الاصطفاء والرسالة؛ أخذ يتكلم علي النبوات فقال: (ونشهد)، أي نعلم ونعتقد (أن الله) تعالي (أرسل رسله) الأمناء علي وحيه ورسالته؛ سفرا بينه وبين عباده وبعثهم إلي خلقه؛ قطع لحجج الكفلو والفجار، وجعلهم هداة يهدي بهم إلي صراطه المستقيم كل من هداه وأرشده في سابق علمه القديم، وعدة الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، وعدة الرسل ثلاثمائة رسول وبضعة عشر رسولا[2]، والأحوط الإيمان بهم

---

1) سورة الشورى : 13
2) البدء والتأريخ للعلامة: المطهر المقدسي (ت: نحو 355هـ) - مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ط1- ج3/ص1 بدون تاريخ

إجمالا؛ لاحتمال الجهل ببعضهم فيكون جحده الناشئ به عن الجهل به كفرا، كيف وقد قال تعالي:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ [1])، فلا يضرنا مع الإيمان بهم جملة الجهل بأعدادهم، ولا بأحسابهم، ولا بأنسابهم، كالإيمان بالملائكة، والكتب السماوية، إذ هو كاف من حيث الإجمال من غير تفصيل للأعداد، ولا بالأسماء؛ لأن ذلك ليس في طوق أكثر البشر .

المطلب الثاني: في بيان الدليل علي النبوات (المعجزات)

قال الشيخ علوان رحمه الله : وعلمت النبوة والرسالة من المعجزات من الله تعالي منزلة تصديقهم، إذ المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة[2]، منزل من الله تعالي منزلة قول صدق عبدي في كل ما يبلغه عني، فقولنا أمر أحسن من قول بعضهم فعل؛ لأن الأمر يشمل: القول فدخل فيه القرآن، والفعل كنبع الماء من بين أصابعه وغيرهما، كعدم إحراق النار للخليل، وعدم تأثير السم في الحبيب ﷺ، حيث سم له الذراع، وقولنا خارق للعادة خرج به ما ليس بخارق، كطلوع الشمس كل يوم من المشرق، ودخل فيه انشقاق القمر، وسعي الشجر، وحنين الجذع، ونحو ذلك مما كاد مجموعه أن يبلغ حد التواتر، وقولنا مقرون بالتحدي معناه: دعوي الخارق دليلا علي النبوة والرسالة، إما بلسان الحال أو المقال، وخرج بهذا القيد كرامة الولي فإنها خارقة للعادة من غير تحدي، وخرج بقولنا مع عدم المعارضة السحر والشعوذة من المرسل إليهم، فإنهم لم يعارضوا بذلك الرسل، ومعني قولنا منزل من الله تعالي منزلة قوله صدق عبدي: قدره[3] العلماء بضرب مثل، وهو أن الرسول ﷺ إذا تحدي بدعوي الرسالة والتمس منه دليل علي صدق ما يدعيه يكون في إبراز الله له ذلك الخارق المسمي بالمعجزة؛ مثاله كمثل من قام بحضرة ملك بمرأى منه ومن جميع بيده ومسمع، وادعي أنه رسول الملك إليهم يجب عليهم تصديقه واتباعه، وطولب بدليل علي صدق دعواه، فيقول: دليل صدقي أن يغير الملك عادته، بحيث تشاهدون ذلك منه، فإذا التمس ذلك من الملك فأجابه بأن غير شيئا من عوائده بأن حرك الحجاب، أو قام أو قعد علي السرير مثلا في الملك الفاني وصدر ذلك منه غير مرة، كان ذلك شاهدا لذلك الرسول في صدق ما ادعاه، وهذه سنة الله تعالي في رسله وأنبيائه، الذين أرسلهم (إلي خلقه) علي حسب مراتب المرسلين في عموم الدعوة وخصوصها، والخلق مصدر بمعني المفعول أي مخلوقاته، وهو عام مخصوص أو أريد به الخصوص؛ وكذلك هود، وصالح، وإبراهيم، وعيسي، نعم المبعوث بعموم الرسالة وخصوصها إنما هو نبينا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين إلي الخلائق أجمعين من جن وإنس وملائكة، كما أفاد قوله تعالي: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا [4]}، مع قوله تعالي: {وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ [5]}، مع قوله ﷺ:«وأرسلت إلي الخلائق كافة»، فإن اقتضت هذه العمومات دخول الملائكة، فكان يرشدهم في مقاماتهم من حيث هم إلي ما تعبدوا به في أطوارهم، كما كان يخص بعض أمته بأحكام لم يبحها لغيره ولا يستبعد هذا؛ لأنه أول المسلمين وهو فتاح العالم وخاتمه، وفي بعض أحاديث مولده ما يشهد له بذلك، إذ كانت الملائكة تقدس بتقدسه حسبما هو مشهور، مع قوله:« كنت نبيا وآدم بين الطين والماء[6]»، وفي بعض الرقول

---

1) سورة غافر آية:78

2) شرح المقاصد في علم الكلام سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت 791هـ) دار المعارف النعمانية - باكستان ط1- ج2/ ص176.

3) في (هـ): قرره وهو تحريف

4) سورة الْفُرْقَانَ آية :1

5) سورة الأنعام آية :19

4) قال الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (473/1- ح رقم: 302) موضوع.

زيادة: وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين[1] نعم الإنس والجن مما أجمع إلي إرساله إليهم. ووقع الإنكار في كونه مبعوثا إلي الملائكة وخصوا ما قدمناه من العمومات بالثقلين، كما أشار إليه المحلي في شرح ج مع الجوامع، ونقل تصريح الحليمي والبيهقي في الباب الرابع من شعب الإيمان: بأنه لم يرسل إلي الملائكة [2] وفي الباب الخامس عشر: "بانفكاكهم من شرعه"، قال: "وفي تفسير الإمام الرازي والبرهان النسفي حكاية الإجماع في تفسير الآية علي أنه لم يكن رسولا إليهم[3]" انتهي.

وبالجملة فنحن نؤمن بأنه' منذر للعالمين، ومرسل للخلائق أجمعين علي وفق مراد الله تعالي ومراد نبيه' من ذلك وأنه أفضل الرسل الذين (يهدي بهم) أي عند دعوتهم إليه ودلالتهم عليه (كل من هدي) إلي الإسلام والدين، ونسبت الهداية إليهم؛ لجريان أسبابها علي أيديهم، وجمع الناظم بين الهدايتين الخلقية والحقيقية؛ إعطاء لكل من الشريعة والحقيقة حقها .

المطلب الثالث: في بيان بعض فضائل النبي

قال الشيخ علوان رحمه الله : ولما كان نبينا محمد' أفضل الخلائق قاطبة أخذ يتكلم علي ذلك بقوله: (وإن) أي نشهد أن محمدا (رسول الله)' (أفضل من)أي عبد مشي علي الأرض، يشمل الخلائق كل هم، وخص الآدميين بالذكر؛ لشرفهم (من أولاد) أي ذرية (آدم) الصفوة أبي البشر المخصوص بعلم الأسماء وسجود الملائكة والخلافة والاجتباء، (أو غدا) في الأرض أو في السماء؛ ليعم الملائكة، وهذه فضيلة له لم يشاركه فيها أحد، وعلم من هذا أنه أفضل من آدم؛ لعموم قوله':« أنا سيد الناس يوم القيامة[4]»، فدخل في الناس آدم وغيره، وخص يوم القيامة بالذكر؛ لظهور سيادته فيه بلا منازع للخاص والعام، والناظم أشار بقوله من أولاد آدم؛ لحديث «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[5]، أي ولا فخرا ثَمَّ، ولا أكمل من هذا، أو لا أقوله مفتخرا، إنما أقوله شاكرا مفتقرا إلي المزيد من الفضل العظيم، ممتثلا قول الله تعالي:{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ [6]}،أو لا فخر لأحد عليَّ، بل لي الفخر عليهم كلهم، كما في في حديث :«آدم ومن دونه تحت لوائي[7]».

وأما قوله: «لا تفضلوا بين الأنبياء»[8]، فذلك منه علي سبيل التواضع، أو قاله قبل أن يؤذن له في إبلاغ أفضليته لعموم السيادة، أو قاله لمن أفضي بهم التفضل إلي الخصومة إذ سبب الحديث لطم اليهودي القائل: "والذي اصطفي موسي علي البشر"، أو تفضيل يؤدي إلي إنقاص وازدراء، وغير ذلك . ثم الأفضل بعده آدم، أو نوح، أو إبراهيم، أو موسي، أو عيسي، أقوال. فهو الرحمة المهداة كما إليه أشار الناظم بقوله: (وأرسله)

---

1) قال في أسنى المطالب (حرف الْكَاف: 1-222 /ح1112) لم يصح وقال الإمام الألباني في السلسلة الضعيفة جـ1/473 ح303موضوع .

5) انظر شعب الإيمان للبيهقي باب الإيمان بالملائكة - فصل في معرفة الملائكة ح142 (302/1)

3) نظم الدرر للبقاعي (ت: 885هـ) - دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ط1- بدون تاريخ - ج7/ص70

4) رواه البخاري - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ- بَابُ {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}[الإسراء: 3]- ح4712- ج6/ص84 ج6/ص84 - ح4712، مسلم - كِتَابُ الْإِيمَانَ - بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا - ح194 - ج1/ ص184.

5) رواه أبو يعلى في مسنده - مسند سَعِيدُ بْنُ سِنَانٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ح4305- ج7/ص 281 وقال حسين سليم إسناده ضعيف/المصنف:كِتَابُ الْفَضَائِلِ- مَا ذُكِرَ فِي أَبِي بَكْرٍ- ح31949 - ج6/ص351.

6) سورة إبراهيم آية 7.

7) انظر تحفة الأحوذي - 466/8 .

8) رواه البخاري - كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ – بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: " {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الصافات:139] " ح3414 ج4/ص159، ومسلم - كتاب الْفَضَائِلِ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ح2373- ج4/ص 1843، وقال الألباني معلقًا على الطحاوية: وقد غمز الشارح في صحته ، ولا أعلم له علةً

يعود الضمير إلي نبينا ' (رب السموات) وه و الله الذي لا إله غيره، وجعله (رحمة) عامة دنيوية وأخروية شاملة للبر والفاجر والمؤمن والكافر، إذ لولاه لم يوجد سماء، ولا أرض، ولا عرش، ولا فرش[1].

فكانت النعم أصلا وفصلا عامها وخاصها هوسر وجودها فدخ ل الكافر فيها تبعا كما قال تعال ي{وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ [2]} الآية، ومن وجه آخر رفع العذاب عنهم حال كونه فيهم، لكما قال تعالي:{ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [3]}، من حيث إرشاده وهدايته ودلالته وتنوع الخيرات والبركات والعلوم، فذلك لا مرية فيه وجنح الناظم إلي تخصيص رسالته بالجن والإنس فلذلك قال (إلي الثقلين الجن والإنس) بدأ بالجن اقتداء بقوله تعالي :{ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [4]}، وقدمت الجن في هذه الآية ونحوها، إما لكونهم سبقوا الإنس وتقدموهم في الوجود بدليل قوله تعالي :{ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ [5]}، وإما تسلية الإنسان من حيث أعباء العبودية؛ ليتأسوا بمن قبلهم والجن بكسر الجيم والجان خلاف خلاف الإنس، وه م أجسام لطيفة، أعطوا قوة التشكل منهم المؤمن والكافر، وقصة توجهه ' إليه م وتلاوة القرآن عليهم وتقرير الأحكام لهم، التي من جملتها لكم كل عظم[6]، وما لم يذكر اسم الله عليه مشهورة، في الصحيحين فلذلك نهى عن الاستنجاء بالعظم وسمي الإنس والجن بالثقلين إما لثقلهما بالذنوب أو علي الأرض، وكان لهم' (مرشدا) إلي الحق داعيا إلي الله بإذنه.

المطلب الرابع: في ذكر الإسراء والمعراج

قال الشيخ علوان رَحِمَهُ اللَّهُ : ومن خصائصه الإسراء، كما قال:(وأسري به) الله وجبريل بأمر الله ، أي بالمصطفي ' (ليلا)؛ لأنه م حل الخلوة والحظوة، من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى والمراد با لمسجد الحرام كله، والمسجد الأقصى بيت المقدس؛ وإنما سبح نفسه؛ لما في ذلك من العجب العجاب، وبين وجه الحكمة، يحتمل أن يكون من للتبعيض أي بعضها، ويحتمل الزيادة، أي لنريه آياتنا كلها، ويحتمل أن يكون لنريه ذاتنا، وما قام بها من صفاتنا وهذه الإراءة [7] كائنة من آياتنا، وبالجملة فركب البراق، واخترق السبع الطباق، حتى انتهى (إلي العرش) المجيد أو الجنة أو طرف العالم أو إلي فوق ال عرش، كما نقله القزاني، ورفعه الله (رفعة) عناية به (وأدناه) أي قربه (منه) أي من ذاته العلية بما لا يعلمه [8] سواه، ومثَّل بما قال أعني (قاب قوسين) تقريبا للأفهام، وكناية عن غاية ما يطلب من القرب ويرام[9]، قرب قلوب وأسرار لا أجرام وأجسام،

---

1) هذه مغالاة في حق النبي ' وهي اقتباس من الحديث الموضوع "إذا لم يكن يوجد محمد'فإن الله سبحانه وتعالى لم يكنليخلق الكون"، وقد رويت أحاد يث باطلة وم وضوعة بهذا المعنى ، ذكره ا الشوكاني في "الفوائد ا لمجموعة في ا لأحاديث الموضوعة"(ص 326) وقال : قال الصغاني موضوع اه- قال الألباني في "السلسلة الضعيفة" (282) : موضوع اهـ.

2) سورة البقرة آية:126

3) سورة الأنفال آية:33

4) سورة الذاريات آية:56

5) سورة الحجر آية:27

7) أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة رقم "450" ج1/ ص332 وقال الإمام الألباني (صحيح) رواه مسلم عن ابن مسعود / صحيح الجامع ح رقم5157 - 917/2

7) أَرَيْتُه إيَّاهُ إراءَةً وإراءً من الرُؤْيَةُ: النَّظَرُ بالعَيْنِ وبالقَلْبِ. ورأيتُه رُؤْيَةً ورَأْياً وراءَةً / انظر القاموس المحيط للفيروز أبادى (ت: 817ه-) - باب الواو والياء - فَصْلُ الرّاء ص1285

8) في (ه-) قرباً لا يعلمه سواه

9) في (هـ) وبرام وهو تحريف وصوابه كما في (أ) ويرام

بشاهد: { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ [1]}، قال جعفر انقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى كيف حجب جبريل من دنوه ودنو ربه منه؟، وقال أيضا دني محمد إلى م ا أودع[2]في قلبه من المعرفة، والإيمان، فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه ، وزال عن قلبه الشك والارتياب، وقال القاسم: وقعت المواصة فأشرف والإشراف هو المشاهدة [3]، وقاب قوسين الإشك ال أشكل ليتبين العارف ويهلك الجاحد، وقال الواسطي: دنا محمد' فتدلي الحجاب حتى جاء إلي غيره من الحجب، فمازالت الحجب تدلي ع ن محمد ' حتى وصل إلي ما أشار إليه من قوله كان قاب قوسين، والتدلي: التكشف، وقال أيضا: من توهم أن بنفسه دنا جعل ثم مسافة، إنما التدلي أنه كلما قربه من نفسه بعده من المعرفة، إذ لا دنو للحق ولا بعد وكلما دني بنفسه من الحق تدلى بعدًا، فانقلب في الحقيقة خاسئا وهو حسير[4]، إذ لا سبيل إلي مطالعة الحقيقة.

وأما الأخبار عن الفضيل: فإنه أخذه من إياه، وأشهده إياه فكان في الحقيقة ذاته مشاهدا ذاته[5]، نقل ذلك كله كله السلمي في حقائق التفسير، والقاب: القدر، والقوسين: تثنية قوس العربية[6]، التي يرمي ع نها، فإن جعلته علي ظاهره، مؤولا الدنو والتدلي الحاصلين بينه وبين جبرئل فلا إشكال، كما قاله أكثر المفسرين بمعني أن جبريل مع عظم خلقه وكثرة أجزائه دني من النبي' هذا الدنو[7]، وإن جعلته من الله كما يفهم من كلام الناظم فيسلك فيه مسلك المتشابه من آيات الصفات وأخبارها، وقد تقدم ما فيه من المذهبين الأسلم والأحكم عند الكلام علي الاستواء علي العرش، والله أعلم . وقول الناظم مصعدا [8] يجوز فيه فتح العين وكسرها، وهو بكلا الوجهين حال، فبالكسر من الفاعل وبالفتح من المفعول.

(واعلم) أن الإسراء بالنبي' مما اتفق عليه المسلمون في الجملة، ولكن اختلفوا هل كان في النوم أو اليقظة، والأرجح أنه يقظة قبل الهجرة بسنة ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر [9]، وقال الزهري : "كان بعد مبعثه بخمس سنين[10]"،قال الكرماني :"وهو الأشبه إذ لم يختلفوا أن خديجة ﵂ صلت معه بع د فرض الصلوات عليه،ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث سنين وإما بخمس سنين[11]" انتهي. وقيل قبل البعثة، وقيل مرة في النوم، ومرة في اليقظة، وممن قاله البغوي، وقيل: البيضاوي في تفسيره، والأكثر أنه أسري بجسده إلي بيت المقدس، ثم عرج به إلي السماوات حتى انتهي إلي سدرة المنتهى؛ ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفا وستين مرة، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية، وقد توهن في الكلام أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض، وأن الله تعالي قادر علي كل الممكنات، فيقدر أن يخلق مثله ذه الحركة السريعة في بدن النبي'، أو فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات[12]انتهي.

---

1) سورة النجم 8، 9
2) في (أ) ودع واختيرت ما في (هـ) أودع لأنها الأصح
3) قوله (هو المشاهدة) نقص في (هـ)
4) الشفا بتعريف حقوق المصطفى 205/1
5) حقائق التفسير- للشيخ: أبو عبد الرحمن الأزدي السلمي ج2/ص284
6) انظر لسان العرب باب الباء فصل القاف وما يثلثهما ج1/ص693
7)شرح صحيح مسلم - كتاب الايمان - بَابُ معنى قول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى ج3/ص11.
8) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - لابن هشام (ت: 761هـ) باب الحال 249/2، الأصول في النحو لابن السراج (ت: 316هـ) 316هـ) - ذكر الأسماء المنصوبات- مسائل من هذا الباب - المحقق: عبد الحسين الفتلي 218/1 ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع - للشيخ: جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) ج2/ص313
9) الطبقات الكبرى لابن سعد 214/1
10) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية - للشيخ: أحمد القسطلاني (ت: 923هـ)- 162/1
11) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 210/2
12)أنوار التنزيل وأسرار التأويل 247/3

وأحاديث الإسراء[1] شهيرة وطرقها منوعة كثيرة، ومن حكمته تشريف السماء بوطئته لتقع المساواة بينها وبين الأرض، أو لتتشرف بطلعته الملائكة أو ليري الملكوت فما دونها عيانا، كما رأي الملائكة كذلك؛ وإما لزيارة الأنبياء والملائكة، أو ليظفر بثواب اقتدائهم به حيث قدم فصلي بهم؛ ولذ لك قيل لزينا ' مقامين لم يعطهما الخلائق كلهم، أحدهما: في الدنيا ليلة المعراج، والثاني: في العقبى وه و المقام المحمود، نقله الكوماني، وقد تقدم الكلام في رؤية الله تعالي أول القصيدة، وإياك أن تتوهم أن الله تعالي في جهة سم اء أو غيره ا فتهلك، قال تعالي: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ [2]﴾الآية.

وكما خُصَّ نبينا ' بالرؤية والإسراء، خُصَّ موسي ابن ع م ران بالكلام، كما قال الناظم (وخصص) أي فضل (موسي) الكليم (ربنا) المدبر الحكيم (بكلامه) يعني بسماع كلامه الأزلي القديم، كما قال تعالي: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ [3]﴾ (علي الطور) وه و جبل عبدين [4] (ناداه) بقوله: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ [5]﴾أو غيرها أي:(فأسمعه النداء) صوتا دالا علي الكلام، كما اختاره الماتريدي [6] وإليه ذهب أ بو إسحاق الإسفرايني[7] أو نفس الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت كما ذهب إليه الأشعري[8] وه و الحق، إذ ليس بمستحيل أن يسمع كلاما ليس بحرف ولا صوت، كما يري الأبرار في ا لقيامة ذاتا ليس بجسم ولا جوهر ولا ع رض، وفضل الله لا يتحجر عليه، بل يؤتيه ن يشاء، كما قال الناظ م: (وكل نبي) وهو إنسان أو حي إليه؛ ليعمل وهو أعم من الرسول، الذي أوحي إليه؛ ليعمل، ويبلغ، فكل رسول من الآدميين نبي ولا عكس، فلله تعالي أكرم كل نبي م ن الأنبياء بما شاء (وخصه بفضيلة) دون غيره، فنوح بإجابة الدعوة المهلكة لقومه، وإبراهيم بالخلة، وموسي

---

1) في (أ): الإسري وكذا في (هـ)، والكلمة كتبتها كما في (ج) : الإسراء

2) سورة الحديد آية: 4

3) سورة النساء آية:164

4) ذكر بعض العلماء أن الطور هذا الجبل المشرف على نابلس ولهذا يحج ه السامرة، وأما اليهود فلهم فيها عتقاد عظيم ويزعمون أن إبراهيم أمر بذبح اسماعيل فيه، وعندهم في التوراة أن الذبيح إسحاق، ع ليه السّلام، وبالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين جبل يسمى الطور، وعليه كان الخطاب الثاني لموسى، عليه السّلام، عند خروجه من مصر ببني إسرائيل، وبلسان الرّبط كل جبل يقال ل ه طور فإذا كان ع ليه نبت وشجر قيل طور سيناء، وقيل طُ ورُ عَبْدِينَ بفتح العين، وسكون الباء ثم دال مكسورة، وياء مثناة من تحت، ونون: بليدة من أعمال نصيبين في بطن الجبل المشرف عليها المتّصل بجبل الجوديّ، وهي قصبة كورة فيه وكل جبل به شجر يقال له طور./انظر معجم البلدان 4/47- 48 بتصرف .

5) سورة طه (آية 14)

6) هو محمد بن محمد بن م حمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) من كتبه (التوحيد - خ) و (أوهام المعتزلة) و (الرد على القرامطة) و (تأويلات القرآن - خ). مات بسمرقند سنة 333هـ / تاج التراجم لأبي الفداء قُطْلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سو دون الشيخوني) الجمالي الحنفي (ت: 879هـ) المحقق: محمد خير رمضان يوسف ط1: 1413 هـ -1992م ط1 ج1/249

(7) **الإِمَامُ العَلاَّمَةُ الأَوْحَدُ، الأُسْتَاذُ، أَبُو إِسْحَاقَ، إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ بنِ مِهْرَانَ، الإِسْفَرَايِيْنِيُّ الأُصُوْلِيُّ الشَّافِعِيُّ، المُلَقَّبُ رُكْنَ الدِّيْنِ. أَحَدُ المُجْتَهِدِيْنَ فِي عَصْرِهِ، وَصَاحِبُ المُصَنَّفَاتِ البَاهِرَة مثل كِتَابُ جَامع الخلِي فِي أُصُوْل الدِّ يْنِ وَالرَّدّ على الملحدين، في خمس مجلدات - انظر سير أعلام النبلاء 13/101**

8) لم أقف على هذا القول في شيء من كتب الأشعري التي بين أيدينا - ولعله فيما لم يصل إ لينا منها مما كتبه إبان إقامته على المذهب الكلابي إلا أن الشيخ أبو نصر السجزيّ (ت: 444هـ) قال: والأشعري خاصة أضرب (يقال أضرب الرجل في ا لبيت: أقام فيه. انظر لسان العرب باب الباء فصل الضأب (1/547) والمعنى: أن الأشعري أقام على هذا القول وأطال الكلام فيه، والله أعلم) قوله في هذا الفصل فقال في بعض كتبه : "كلام الله ليس بحرف ولا صوت كما أن وجهه ليس بتنضيد وكلام كلّ متكلم سواه حرف وصوت" / رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت للشيخ: عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ (ت: 444هـ) المحقق: محمد با كريم با عبد الله - عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ،السعودية ط2، 1423هـ/2002م - ج1/ص124.

بالتكليم، وعيسي بالرفعة إلي السماء ، كإدريس وغير ذلك، فعليهم أفضل الصلوات والسلام، ونبينا محمد ﷺ بالإسراء والرؤية، كما قال (وخص) أي فضل (برؤياه) يقظة، إذ الرؤوم يعمه، ويعم غيره حتى آحاد الأمة، فأراه ذاته من غير كيف (النبي) الرسول الفاتح الخاتم (محمد) أفضل البرية ﷺ وعلي آله.

المطلب الخامس: في شفاعة النبي ومن تناله

قال الشيخ علوان رَحِمَهُ اللَّهُ : (وأعطاه) أي منحه دون غيره (في الحشر) وهو الجمع، يعني يوم الحشر والجمع (الشفلعة)، قال الكرماني : " وهي سؤال [1] فعل الخير، وترك الضر عن الغير، علي سبيل الضراعة[2]" انتهي، والمراد بهذه الشفاعة التي لا ترد أو شفاعة يخرج بها من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، أو الشفاعة العامة؛ لإزالة فزع جميع الخلائق، وهي الشفاعة العظمي في فصل القضاء، المعبر عنها بالمقام المحمود في قوله تعالي :{ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ [3]} يعني يحمده إذ ذاك الأولون والآخرون، كيف وقد قال كل من آدم ونوح وإبواهيم وموسي وعيسي عليهم أفضل الصلاة والسلام، نفسي نفسي وقال الحبيب المشفع: أنا لها أنا لها [4]، وأحاديثها في الصحيحين وغيرهما مشهورة، لا جرم أمرنا بسؤال هذا المقام المحمود له مع الوسيلة والفضيلة عقب الآذان [5] مع نيل ذلك كله، وحصوله له تحقيقا؛ لنتشرف نحن بسؤال ذلك، وتشملنا بركة ذكره، ويظهر له الشرف بذلك من الخاص والعام، ويكون موجبا لسائله شفاعته ﷺ، لحديث: حلت له شفاعتي أي وجبت.

واستدل الناظم علي تخصيصه بهذه الشفلعة، حيث قال: (مثل ما) يعني بصفة ما (روي) من طرق مختلفة (في الصحيحين)، اللذين هما أصح الكتب المصنفة صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري، وصحيح الإمام أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري، تغمدهما الله برحمته فهما (خرجا الحديث) في صحهما، (وأسندا) الألف فيه للإطلاق [6] يعني روي مسندا بأسانيد صحيحة مسندة متصلة إلي النبي. (**واعلم**) أن روي[7] في اصطلاح المحدثين: صيغة تمريض[8]، وليس ذلك مراد الناظم؛ ولذلك عقبه بقوله في الصحيحين، وأطلقا الشفاعة مريدا بها الجنس، لا الإفراد إذ له ٤ شفاعات:

إحداها: العظمي وهي المقام المحمود وقيل المقام المحمود كون لواء الحمد بيده ولا منافاة، فتكون له الشفاعة، ولواء الحمد، وقيل فيه غير ذلك.

---

1) في (ه-) وهو سؤالا عن فعل
2) نقلا عن عمدة القاري شرح صحيح البخاري - كتاب التَّيَمُّم - بابُ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَاء ولاَ تُرَاباً ج4/ص10.
3) سورة الإسراء آية: 79
4) رواه البخاري في صحيحه - كتَابُ التَّوْحِيد - بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ ح7510: ج9/ص146، 146، مسلم - كتَابُ الْإِيمَانَ- بابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا ح193:ج1/182.
5) سنن الترمذي كتاب أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الباب الثالث :ج5/ص586 ح3614، أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل ما يقول المؤذن رقم (383 و 384) ص3) عن ابن عمر)، صحيح ابن حبان-كتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ الْأَذَانِ- ذِكْرُ إِيجَابِ الشَّفَاعَةِ فِي الْقِيَامَةِ:ج4/ص588 ح1690، السنن الكبرى - كِتَابُ قِيَامِ اللَّيْلِ - باب الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ الْأَذَانِ:ج2/ص252-ح1654،ج9/ص24 ح9790، مسند أحمد -مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو :ج11/ص128 ح6568
6) ألف الإطلاق: وهي الألف الواقعة في آخر الروي إذا كانت حركة الروي فتحة ، كقول الشاعر:
تعز فلا شيء على الأرض باقيا*ولا وزر مما قضى الله واقيا**
(والبيت من الشواهد وهو بلا نسبة) /انظر دروس من قاموس النحو / الدرس الثالث : الألف : د مسعد زياد (المصدر:الإنترنت - الموقع الشخصي للمؤلف تم رفعه بتاريخ 23 /3/ 1427 هـ ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة - موقع الجامعة على الإنترنت، تابع فتح المتعال على القصيدة المسماة بلامية الأفعال 318/38

7) في (هـ) أن روي وهو خطأ إملائي
8) التَّمريض لغة:مصدر مرّض،وهو حسن القيامعلي المريض و يقال تمريض الأمور أي توهينها والتّمريض عند علماء الحديث :تضعيف الرّاوي أو تضعيف الحديث أوهي أداء الحديث بصيغة تحتمل عدم الثبوت)روي (،) يُروي (،) ...إلخ/ لسان العرب مادة مرض- ج7/ص231، القاموس المحيط مادة مرض ج1/654

ثانيها: شفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وجزم النووي باختصاصها به، وتوقف في ذلك ابن دقيق العيد. **ثالثها**: قوم استوجبوا النار، فلا يخلونها؛ لحديث خبأت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة - إن شاء الله- من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا[1].

رابعها: في إراج من دخل النار من الموحدين، وأنكرت المعتزلة هذه، والتي قبلها [2]، والحق ثبوتهما له كغيرهما، ويشاركه فيهما غيره من الأنبياء وغيرهم.

خامسها: في زيادة الدرجات لأهل الجنة، سادسها في نقل عمه أبي طالب في ضحضاح من نار بشفاعته، هذا إن لم نقل بإسلام أبي طالب أو كان ذلك قبل أن أحياه الله فأسلم؛ فقد نقل السيوطي وغيره أن الله تعالي أحيا لنبينا أبويه وعمه - وهو المشهور - فأسلموا [3]، فإذا ثبت بمقتضي الأحاديث الصحيحة له هذه الشفاعات، وجب التصديق بها؛ ومن لم يصدق بها فأمره - كما قال الناظم (فمن شك) أي ارتاب (فيها) يعني في الشفاعة من حيث هي شفاعة ثابتة له- (لم ينلها) عقوبة له بكفره أو فسقه، وفيه ذا تهديد عظيم للكفار والمبتدعة، كالخوارج والمعتزلة نسأل الله العصمة بمنه وكرمه، ومن صدق بها نالها، ولو كان فاسقا مرتكبا للكبائر، للحديث الصحيح: «واختبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي[4]» (ومن يكن) شفيعا له) مشفعا فيه، فذلك والله (قد فاز فوزا) عظيما، (وأسعدا) يعني بدخول الجنة، وعلو الدرجات، ونيل الرضوان، ولذة النظر إلي وجه الله تعالي. وفي البخاري عن أبي هريرة ﷺ قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، فقال: « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مخلصا من قبل نفسه [5]» وفسر إخلاصها في حديث رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول، بأن تحجزه - يعني قائلها- عن محارم الله تعالي والله أعلم.

المطلب السادس: في بيان شفاعة باقي الأنبياء والأولياء بعد نبينا وما يتعلق بها

* المسألة الأولي في بيان شفاعة باقي الأنبياء والأولياء بعد نبينا:

قال الشيخ علوان رحمه الله : وكما يشفع نبينا يشفع بعده الأنبياء، كما قال الناظم (ويشفع بعد) النبي (المصطفي) محمد (كل) نبي (مرسل)، ولكن (لمن عاش في الدنيا) مسلما مؤمنا أو كان كافرا، ولكنه أسلم (ومات موحدا) أي ناطقا لله بالوحدانية مقرونة للرئيين بالرسالة، (وكذلك كل نبي) يمنح الشفاعة فهو (شافع) إلي الله، (ومشفع) عند الله في أهل التوحيد، (وكل ولي) من عوام الأولياء وخواصهم وخواص خواصهم علي اختلاف طبقات الأولياء ومقامات الولاية، يشفع (في جماعته) من أهل، وصحب، وتابع ومحب، فيشفع (غدا) يعني يوم القيامة، فالمتهجد يشفع في أهل بيته، كما استنبط من قوله تعالي :{ **وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا**

---

1) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الدعوات باب قوله ادعوني استجب لكم 1457، 144 وأخرجه مسلم كتاب الإيمان باب اختباء النبي :دعوة رقم 334 و 335

2) علق ابن حجر علي هذه القضية في باب صفة الجنة والنار وذكر تكذيب المعتزلة والخوارج للشفاعة في أهل الكبائر وأنهم احتجوا بِقَوْلِه تَعَالَى فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ وأسند هذا القول لابن بطال وأورد رد أهل السنة عليهم فقال «وَأَجَابَ أَهْلُ السُّنَّةِ بِأَنَّهَا فِي الْكُفَّارِ» - انظر فتح الباري 11/426 بتصرف

3) في مسألة إحياء والدي النبي وأنهما آمنا به ثم ماتا:قال ابن الجوزي (حديث موضوع بلا شك ومن وضعه قليل الفهم عديم العلم) فضلاً عن معارضته لحديث مسلم: استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي /انظر الموضوعات لابن الجوزي (ت: 597هـ) 1/284، وقال ابن كثير هذا حديث منكر جداً وقد ثبت في الصحيح ما يعارضه . وقال ابن دحية : حديث موضوع وأقره الملا علي القاري والقاوقجي، وممن حكم ببطلانه الأئمة : الدارقطني والجوزقاني وابن عساكر وابن حجر والبيروتي/انظر المقاصد الحسنة - للشيخ: شمس الدين السخاوي (ت: 902هـ)– ط1، 1405 هـ - 1985م - ص67.

4) صحيح رواه الحاكم - كِتَابُ الْإِيمَانِ - من حَدِيثُ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ - رقم228 ج1/ص139، قال صحيح على شرط الشيخين ولم ولم يخرجاه ، رواه الطبراني في الكبير:ج1/ص258 ح749

5) رواه البخاري انظر صحيح البخاري - كِتَابُ العِلْمِ - بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ - ج1/ ص31 - ح99.

مَّحْمُودًا [1]} الآية (**تنبيه**): اجتمعت الأمة علي ثبوت الشفاعة لنبينا محمد، ولكن اختلفوا في تأثيرها، فقالت المعتزلة: تأثيرها زيادة النعم لأهل الثواب، وقالت الأشاعرة بذلك، ولكن من جملة تأثيرها إسقاط العقاب عن أهله من الموحدين، وتمسك منكروها بآيات وهي قوله تعالي: { وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ [2]}، وقوله: { وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ [3]}، وأجبنا عن ذلك الوارد من الآيات بأنها عامة مخصوصة، وتمسكنا بقوله تعالي: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ [4]}، ومن جملتهم مرتكب الكبيرة، ولا بد من استغفاره؛ لوجوب عصمته من مخالفة الأمر وقبوله متحقق من قوله: { وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ [5]}، مع ما صح من الأخبار في ذلك والله أعلم.

المسألة الثانية: ومما يتعلق بالشفاعة الغفر والتجاوز:

ثم لما كان يلزم من الشفاعة الغفر والتجاوز، نبه عليه في النظم قائلا: (ويغفر) أي يستر بتجاوزه وصفحه (دون الشرك)، ولو كان من الكبائر القتل فما دونه، فما عدا الشرك يغفره (ربي لمن يشاء) أن يغفره له؛ تصديقا لقوله تعالي: { مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا [6]}، فالعصاة علي قسمين: كفار وغيرهم، فالكفار علي قسمين: مشركون ومنافقون؛ وكلهم مخلدون في النار، وغير الكفار علي قسمين: تائبون ومصرون، فالتائبون مغفور لهم بمقتضي قوله تعالي: { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ [7]}، والمصرون في خطر المشيئة، ولكنهم وإن عذبوا فإلي الفوز عاقبتهم، كما إليه أشار بقوله: (ولا مؤمن) صادق في إيمانه (إلا له كافر) من الكفار (فداء) يفديه؛ يقال: فداه من الأسر يفديه فداءً مقصور وتفتح ألفه وتكسر، إذا استنقذه بمال، وفاديته مفاداة وفداء إذا أطلقته وأخذت فديته، وقال المبرد: المفاداة أن تدفع رجلا وتأخذ رجلا، والفداء أن تشتريه، وقيل هما واحد، ومستند قول الناظم ما رواه مسلم عن أبي موسي الأشعري مرفوعا: «إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديا أو نصرانيا، فيقول: هذا فكاكك من النار [8]»، قال الشافعي: "أرجي حديث للمسلمين حديث أبي موسي [9]"، وعن أنس يرفعه: « دفع الله إلي كل كل رجل من المسلمين رجلا من المشركين، فقال: هذا فداؤك من النار [10]»، وقال علماؤنا هذه الأحاديث ظاهرة الإطلاق والعموم، وليست كذلك، إنما هي في أناس مذنبين تفضل الله عليهم بمغفرته ورحمته، فأعطي لكل واحد منهم فكاكا من النار من الكفار [11]، (وأقول): لا مانع من الإطلاق والتعميم؛ إذ النقل يقتضيه والعقل لا ينفيه، وأما استدلالهم بحديث: «يجيء يوم القيامة أناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، يغفرها الله لهم،

---

1) سورة الإسراء آية 79
2) سورة البقرة آية:48، 123
3) سورة البقرة آية:270، سورة آل عمران آية:192، سورة المائدة آية:72
4) سورة محمد آية:19
5) سورة الضحى آية:4
6) سورة النساء آية 79
7) سورة طه آية:82
8) أخرجه مسلم في كتاب التَّوْبَةِ - بَابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ حديث "2767" 2119/4
9) تهذيب الأسماء واللغات 56/1
10) رواه مسلم - كتاب التَّوْبَةِ - بَابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ 2119/4- ح2767، القرطبي في التذكرة ص906
11) التذكرة للقرطبي ص906وهو مرجع سابق

ويضعها على اليهود والنصارى[1]»، أي يضاعف عليهم عذاب ذنوبهم وذنوب مذنبي هذه الأمة، لا مؤاخذة له له بذلك؛ إذ له سبحانه وتعالى أن يفعل ما يشاء، كما قال تعالى :{ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ [2]}، وأما استدلالهم **فجوابه**: أن هذا الحديث لا يقتضي تخصيص الحديث الأول، بل بل هو مؤكد له إذ لا ضرورة إلي القول بالتخصيص والتقييد، فيبقي علي العموم والإطلاق، والله أعلم.

المطلب السابع: ومن جملة ذلك بيان مآل الموحدين وأصحاب الكبائر والمشركين

قال الشيخ علوان رحمه الله : وقال العلامة الإمام أبو يحي النووي في شرح مسلم: «واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف، أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال فان كان سالما من المعاصي، كالصغير، والمجنون،والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي،إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتلي بمعصية أصلا، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار أصلا، للفهم يردونها[3] على الخلاف المعروفي الورود، والصحيح أن المراد به به المرور على الصراط، وهو منصوب على ظهر جهنم أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه[4]، وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة، فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولا، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده، ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر، ولو عمل من أعمال البر ما عمل، هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي،فإذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من أحاديث الباب وغيره ،فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة وجب تأويله عليها؛ ليجمع بين نصوص الشرع[5]» انتهي لفظه بحروفه، وإنما نقلته بجملته، وأثبته بحروفه؛ ليعم نفعه، ويحقق كلام مؤلفه - نفع الله به- وعلي هذه القاعدة مشي الناظم، حيث قال : (ولو) كان قد (قتل النفس الحرام) غير مستحل (تعمدا) بغير موجب ولا مبيح للقتل؛ لقوله تعالي :{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا [6]}الآية، مع قوله:{ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ [7]}، والإيمان أعظم أعظم الخيرات فلا بد وأن يرجي ثوابه، وأحسن الحسنات، فلا بد وأن يضاعف له جزاؤه، وفي حديث مسلم الطويل، فيقول الله تعالى :«شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، لم يعملوا خيرا قط [8]»،يعني غير التوحيد الحديث. وفي رواية : «يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله، قال: ليس ذلك لك ، أو قال: ليس ذلك إليك، أو قال: ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي، لأخرجن من قال: لا اله إلا

---

1) رواه مسلم في صحيحه - كتاب التَّوْبَةِ - بَابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ4/2120- ح2767، وانظر التذكرة ص906
2) سورة العنكبوت آية :13
3) في (أ): يريدونها وهو خطأ قد يكون في النسخ لهذه النسخة من نسخة لم أقف عليها إذ أن (أ) هي الأقدم تاريخا فيما وقفت عليه وكتبت الكلمة طبقا لـ (هـ)
4) قوله (وهو منصوب على ظهر جهنم أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه) زيادة في(هـ)
5) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - كتاب الايمان - باب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ1/217
6) سورة النساء آية:40
7) سورة الزلزلة آية:7
5) صحيح مسلم - كِتَابُ الْإِيمَانَ - بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ ج1/167- ح183 ، الاعتقاد للبيهقي ت: 458هـ) - تحقيق: أحمد عصام الكاتب - - دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة: الأولى -1401هـ - بَابٌ الْقَوْلُ فِي الشَّفَاعَةِ وَبُطْلَانِ قَوْلِ مَنْ قَالَ بِتَخْلِيدِ الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّارِ- ص196 ، مسند الطيالسي: مسند أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما رواه عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍج3/ ص629ح2293

الله[1]»، ومعني قوله: وجبريائي عظمتي وسلطاني، وقهري وجيم جبريائي مكسورة[2]، قاله النووي في شرح شرح مسلم، وكذلك حديث : «من م ات، ولم يشرك بالله شيئا دخل الجنة [3]»، (والجواب): عما استدلت به المعتزلة أن المراد بالخلود المكث الطويل، كقولهم سجن مخلد، أو محمو ل ذلك علي المستحل للقتل الحرام، المعلوم تحريمه من الدين بالضرورة، إذا مات علي ذلك يموت كافرا، فـيخلد كالكفار؛ لأن قاتل المؤمن لكونه مؤمنا لا يكون إ لا كافرا، وكذلك حديث : «لايدخل الجنة نمام ، لايدخل الجنة من كانفي قلبه مثقال ذرة من كبر[4]» ونحو ذلك محمول علي المستحل لذلك مع علمه بتحريمه أو لا يدخلها أولا مع الفائزين والله أعلم.

المصادروالمراجع

6) صحيح مسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ - بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا - ج1/ص182 ح193، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم – لأبي نعيم بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ) - المحقق: محمد حسن الشافعي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1417هـ -1996م 267/3 ح469 المقدمة بلا تبويب ، مستخرج أبي عوانة - كِتَابُ الْإِيمَانِ - باب بَيَانُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ - ج1/ص156- ح451.

2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 65/3_

7) كتاب الفتن - لأبي عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (ت: 228هـ) المحقق: سمير أمين الزهيري - مكتبة التوحيد - القاهرة - الطبعة: الأولى، 1412 ج1/ص148- ح371

1) مسلم كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، رقم (105) ج1/ص101، مسند أحمد:ج38/ص400 - ح23387.

1- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538)ه تحقيق: محمد باسل عيون السود -الناشر: دارالكتب العلمية،بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م
2-أسنى المطالب للعلامة : محمد بن درويش،الشافعي (ت:1277هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، 1418 هـ -1997م
3- الأصول في النحو لابن السراج (ت: 316هـ) - المحقق: عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة- بيروت.
4- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هالمحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة : الأولى -1418 هـ)
5- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لعبد الله بن يوسف أبو محمد ،ابن هشام (ت: 761ه - المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
6- البدء والتأريخ لابن طاهر المقدسي (ت: نحو 355هـ) - مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ط1 بدون تاريخ
7- تاج التراجم لأبي الفداء قُطْلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (ت: 879هـ) المحقق: محمد خير رمضان يوسف ط1: 1413 هـ -1992م ط1
8- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (ت:1353ه دار الكتب العلمية–بيروت
9- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: 671ه)تحقيق :الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع،الرياضط14251 هـ
10- تهذيب الأسماء و اللغات لأبي زكريا بن شرف النووي (ت: 676هـ: الناشر شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من : دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان
11- دروس من قاموس النحو / الدرس الثالث : الألف : د مسعد زياد (المصدر: الإنترنت - الموقع الشخصي للمؤلف تم رفعه بتاريخ 23 /3/1427 هـ ،
12- رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت للشيخ: عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ (ت: 444هـ) المحقق: محمد با كريم با عبد الله - عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،السعودية ط2، 1423هـ/2002م.
13- سنن الترمذي (ت: 279ه)المحقق: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي – بيروت: 1998 م.
12- سير أعلام النبلاء للذهبي (ت: 748ه)دار الحديث- القاهرة ط: 1427هـ-2006م.
14- شرح المقاصد في علم الكلام سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت 791هـ) دار المعارف النعمانية - باكستان ط1- ج2/ ص176.
15- شرح صحيح مسلم - كتاب الايمان - بَابُ معنى قول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى ج3/ص11.
16- الشفا بتعريف حقوق المصطفى المؤلف: عياض بن موسى اليحصبي السبتي،أبو الفضل (ت: 544هـ) – دار الفيحاء–عمان ط2 -1407 هـ
21- صحيح مسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت بدون تاريخ.
22- الاعتقاد للبيهقي ت: 458هـ)تحقيق: أحمد عصام الكاتب - دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة: الأولى -1401هـ
23- صحيح مسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ - بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا - ج1/ص182 ح193، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم – لأبي نعيم بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ) - المحقق: محمد حسن الشافعي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1417هـ -1996م.
24- مستخرج أبي عوانة لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: 316هـ تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي- دار المعرفة–بيروت الطبعة: الأولى، 1419هـ-1998م.
25- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني الشافعي – دار المعرفة - بيروت، 1379 عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز
26- الطبقات الكبرى المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد الهاشمي بالولاء،البصري،البغدادي (ت: 230هـ)

27- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئفي الأمة لمحمد ناصر الدين، الألباني (ت: 1420هـ) دار النشر: دار المعارف،الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى،1412 هـ /1992
28- فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي- دار المعرفة - بيروت،1379 – رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي – قام بإخراجه وصححه و أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز
30- كتاب الفتن - لأبي عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (ت: 228هـ) الناشر: دار صادر– ط3 (المحقق: سمير أمين الزهيري - مكتبة التوحيد - القاهرة - الطبعة: الأولى،1412هـ -1414 هـ
32- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة - موقع الجامعة على الإنترنت، تاريخ المطالعة 2015/6/22م